

أضواء البيان

@ 302 @ وقوله تعالى : { وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّيْلِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجَابَ لَهُمْ دُعَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ } ، وقوله تعالى : { أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنْزَلْنَا خَلْقَهُ نَاطِقًا مِنْ نَاطِقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ } ، وقوله تعالى : { خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَاطِقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ } ، إلى غير ذلك من الآيات . وما فسرنا به قوله تعالى : { وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا } من أن معناه كثرة خصومة الكفار ومماراتهم بالباطل ليدحضوا به الحق هو السباق الذي نزلت فيه الآية الكريمة ، لأن قوله : { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ } أي ليعلموا وينيبوا إلى ربهم : بدليل قوله : { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ لِيَذَّكَّرُوا } ، وقوله : { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } فلما أتبع ذلك بقوله : { وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا } علمنا من سياق الآية أن الكفار أكثروا الجدل والخصومة والمرء لإدحاض الحق الذي أوضحه [] بما ضربه في هذا القرآن من كل مثل . ولكن كون هذا هو ظاهر القرآن وسبب النزول لا ينافي تفسير الآية الكريمة بظاهر عمومها . لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما بيناه بأدلته فيما مضى . ولأجل هذا لما طرق النبي صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة رضي الله عنهما ليلة فقال : (ألا تصليان) ؟ وقال علي رضي الله عنه : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنفسنا بيد الله ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا . انصرف النبي صلى الله عليه وسلم راجعاً وهو يضرب فخذه ويقول : (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً) والحديث مشهور متفق عليه . فأيراده صلى الله عليه وسلم الآية على قول علي رضي الله عنه (إنما أنفسنا بيد الله ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا) دليل على عموم الآية الكريمة ، وشمولها لكل خصام وجدل ، لكنه قد دلت آيات أخر على أن من الجدل ما هو محمود مأمور به لإظهار الحق ، كقوله تعالى : { وَجَادِلْهُمْ بِلَا سَتٍّ هِيَ أَحْسَنُ } ، وقوله تعالى : { وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِاللَّيْلِ هِيَ أَحْسَنُ } . وقوله (جدلاً) منصوب على التمييز ، على حد قوله في الخلاصة : { وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِاللَّيْلِ هِيَ أَحْسَنُ } . وقوله (جدلاً) منصوب على التمييز ، على حد قوله في الخلاصة : % (والفاعل المعنى انصبين بأفعلا % مفضلاً كانت أعلى منزلاً) % .

وقوله { فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ } أي أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل جدلاً كما

تقدم . وصيغة التفضيل إذا أضيفت إلى نكرة كما في هذه الآية ، أو جردت من الإضافة والتعريف بالألف واللام لزم إفرادها وتذكيرها كما عقده في الخلاصة بقوله